صدى العلوم

متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة

ترخيص رقم 2022/244

مجلة فصليّة مؤقّتًا، متخصّصة بالآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف المطبوعات: ISSN 2959-9423

السنة الثانية 20
تشرين الأول 24

العدد 6

■ مفاعيل القرار (1701) وأثره في ترسيم حدود لبنان البرّيّة الجنوبية / حسن علي بشروش
■ الأساس القانوني الدولي لجريمة تجنيد الأطفال / جالا الخير
■ قواعد صيانة المال العام نتيجة خطأ موظّفي الإدارة (التّضمين) / أبرار جاسم محمّد
■ الحوكمة الإلكترونيّة وأثرها في الإصلاح الإداريّ / أسعد قاسم مجيد
■ مفاهيم الثقافة والهويّة والأجيال في المهجر / حسام علي نعيم
■ الضّمانات اللاحقة على فرض العقوبة الانضباطيّة / أحمد باسم مجيد
■ السُنن الإلهيّة وأهميتها في استشراف المستقبل / زينب محمد فهدا

المحتويات

11	افتتاحية العدد	رئيس التحرير
15	مفاعيل القرار (1701) وأثره في ترسيم حدود لبنان البرّيّة الجنوبية	حسن علي بشروش
42	الأساس القانوني الدولي لجريمة تجنيد الأطفال	جالا الخير
69	قواعد صيانة المال العام نتيجة خطأ موظّفي الإدارة (التّضمين)	أبرار جاسم محمّد
87	الحوكمة الإلكترونيّة وأثرها في الإصلاح الإداريّ	أسعد قاسم مجيد
113	الخروقات الإسرائيليّة لحدود لبنان الجنوبيّة والتّحفّظات اللّبنانيّة عليها	حسن علي بشروش
145	مفاهيم الثقافة والهويّة والأجيال في المهجر	حسام علي نعيم
170	الضّمانات اللاحقة على فرض العقوبة الانضباطيّة	أحمد باسم مجيد
190	السُّنن الإلهيّة وأهميتها في استشراف المستقبل	زينب محمد فهدا
209	الشيخ محمد فاروق نجا سيرته، منهجه، وآثاره العِلمية	عبدالله سمير دنون
227	أركان جريمة تجنيد الأطفال في النزاعات المسلّحة	جالا الخير
260	مقوّمات الإصلاح الإداريّ في العراق	أسعد قاسم مجيد
294	الطّبيعة القانونيّة للمال العام	أبرار جاسم محمّد
313	المركز القانونيّ للموظّف العام وعلاقته بالإدارة	أحمد باسم مجيد

السُنن الإلهيّة
وأهميّتها في استشراف المستقبل
Divine Laws
and their Importance in Anticipating the Future

زينب محمد فهدا[1]

ملخص البحث

يحتلّ موضوع السّنن الإلهيّة حيّزًا مهمًّا في الدّراسات المستقبليّة، ومادة غنيّة لا غنى عنها في استشراف المستقبل؛ إذ يُعدّ سلوكًا قديمًا عند الإنسان، فالشّعور الفطريّ بالميل نحو التّقصّي والاستقراء والتّفكّر في مختلف الظّواهر الطّبيعيّة والكونيّة، والفيزيولوجيّة، والتّعرّف على أسرار الحياة والموت، كان من أوائل الأسئلة التي دارت في ذهن الإنسان، بغية الوصول إلى حياة آمنة، بعيدة عن الأخطار والمشاكل التي تُؤرّق حياته ومستقبله.

كلمات مفتاحيّة: القرآن الكريم، السُّنن الإلهيّة، الاستشراف، المستقبل.

Abstract

The topic of divine laws occupies an important place within future studies, as it represents rich material in anticipating the future; which is an ancient behavior in humans. The innate feeling of inclination towards investigation, induction, and contemplation of various natural, cosmic, and physiological phenomena, and learning the secrets of life and death, was one of the first questions that troubled humans, in order to build a safe life for themselves, far from the dangers and problems that trouble their lives and future.

Key Words: Divine laws, Foresight, The Holy Quran, The future.

(1) باحثة في الشؤون الإسلامية، طالبة دكتوراه، كلية الدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية، خلدة – لبنان.

المقدمة

تُعدّ السُّنن الإلهيّة من أبرز المصاديق القرآنيّة لاستشراف المستقبل، والتنبّؤ بالغيب. وعلى الرّغم من تميّز هذه السُّنن بمجموعة من الخصائص والشّروط، إلاّ أنّها أكّدت على دور الإنسان وإرادته واختياريّة أفعاله. ومع تنوّع السُّنن الإلهيّة وتعدّدها، إلاّ أنّه تبقى هناك سُنن بارزة وساطعة على مرّ التّاريخ، تُلزم من يتدبّر بها بالسّير على خطاها لمعرفة أسباب التّمكين وأسباب الفشل والتّراجع، ومن بين هذه السُّنن سُنّة التّغيير التي تشير إلى أنّ التّغيير لا يمكن أن يحصل للمجتمعات إلّا من خلال التّغيّر الذاتي الذي يجريه الفرد ضمن شروط يرتضيها الله -عزّ وجلّ- من انتصارٍ على النفس، وغلبةٍ في الهوى، وفوزٍ على الشّهوة، وإلاّ ينتهي مآل القوم إلى تغييرهم بأقوامٍ أفضل منهم.

هناك أيضًا سُنّة الاستدراج التي توعّد الله بها الأمم المعاندة والمصرّة على الكفر والعصيان، وذلك باستدراجهم رويدًا رويدًا إلى الهلاك. أمّا سُنّة النّصر فهي من السُّنن التي يجب أن يتدبّر الفرد المسلم شروطها وأسبابها تدبّرًا يستطيع من خلاله الاستفادة منها في إعادة أمجاد الأمة الإسلاميّة، وكسر القيود التي تسبّبت في تراجع الحضارة الإسلاميّة.

الإشكاليّة

بعد إلقاء الضوء على بعض السنن ومدى تفاعلها مع الحياة الإنسانيّة، وما كان عليه الإنسان من تعلّق بها، لا سيّما أنها تتدخّل بمستقبله وترسم نهج حياته، ولو في جانب واحد من جوانب حياته، فإن السّؤال المركزي يطرح نفسه: ما هي أهميّة السُّنن الإلهيّة في استشراف المستقبل؟

ويتفرّع منها سؤالان فرعيّان:

- ما هو مفهوم السُّنة وما هي أقسام السُّنن الإلهيّة؟
- كيف تُسهم السُّنن الإلهيّة في بناء مستقبل مشرق؟

وانطلاقًا من هذه الإشكاليّة يمكن تقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام:

- أوّلًا: قراءة في مفهوم السُّنّة.
- ثانيًا: أقسام السُّنة الإلهيّة.
- ثالثًا: أهميّة السُّنن في استشراف المستقبل.

المنهج

لا تخلو دراسيّة علميّة من اتباع منهج علمي يعتمده الباحث من أجل الوصول إلى مبتغاه، في سبيل الإجابة على إشكاليّة محدّدة، وتحديد المسار الذي يسلكه لتبيان النّتائج، لذلك فإنّ الدّراسة تعتمد المنهج التحليلي من حيث قراءة النّصوص وتحليل مضمونها، كما تعتمد المنهج المقارن من خلال مقارنة آراء المفكرين والعلماء من مختلف المشارب والاتجاهات وبيان أوجه التّشابه والاختلاف.

أوّلًا. قراءة في مفهوم السُّنّة

يُعدّ موضوع السّنن الإلهيّة من الموضوعات المهمّة التي احتلّت حيّزًا واسعًا في الدّراسات الحديثة، ولا سيّما أنّ مفهوم السُّنة دخل في علوم شتّى منها ما هو فقهي، أو قرآني، أو عقدي أو أصولي. وبناء على هذا التّنوع، تعددّت وجوه استعمالها في اللغة، وتعدّد مدلولها الاصطلاحي. وعلى الرّغم من هذا التّعدّد، إلاّ أنّنا سوف نلحظ أنّ ما عقد عليه المعنى اللغوي امتدّ لدى أهل الاختصاص إلى المعنى الاصطلاحي. وفي يومنا هذا يُعدّ تطبيق القوانين الإلهيّة والالتزام بالقيم الأخلاقيّة مثل الصّدق، والعدل، والأمانة مصداقًا من مصاديق السّير وفق هذه السُّنن وهذا ما سوف يتبيّن من خلال الإشارة إلى مفهوم السُّنة.

أ. السُنّة لغة

في النظر إلى المعنى اللغوي لمفردة «السُّنّة»، نراها مأخوذة من الفعل الثلاثي «سَنّ»، الذي تحمل مادته اللغويّة (س. ن. ن) في معاجم اللّغة العربيّة معانٍ متعددة، جمعُها سُنن. فالسّين والنون أصل واحد مطّرد، وهو جريان الشّيء واطّراده في سهولة ويسر. حيث جاء في مقاييس اللغة لابن فارس أنّ السُّنة تدل على الصبّ والجريان: «سننت الماء على وجهي أسُنّه سنًّا: إذا أرسلته إرسالًا، ثمّ اشتقّ منه الحمأ المسنون؛ كأنّه قد صُب صبًّا»[1]، واعتبر ابن الأثير أنّ الأصل في السُّنة هي الطّريقة والسّيرة بعامّة، وإذا

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المعروف بـ«ابن فارس»: **مقاييس اللغة**، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، لا ط، 1404، ج 2، ص 244.

أُطلقت في الشّرع فإنّما يقصد بها سُنة النبيّ(ص)، في كل ما أمر به ونهى عنه، وندب إليه قولًا وفعلًا[1].

وبيّنها الراغب الأصفهاني في مفرداته بقوله: «السُّنن جمع سُنّة، وسُنّة الوجه طريقته، وسُنّة الله قد تُقال لطريق حكمته وطريق طاعته[2]، وذلك على نحو قول الله- عزّ وجلّ-: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تبديلًا﴾[3]، وقد أشار إلى معنى أخر تحمله السّنة وهو الطّبيعة[4]. وجاء عن الزبيدي في تاج العروس بأنّها مجموعة الأفعال والأقوال والتّقريرات المنسوبة للنبي محمد(ص)[5]. وقال الفيروز آبادي في معنى السُّنة: «والأصل فيها الطّريقة والسّيرة ومنه قول النبي(ص) من سنّ سُنّة حسنة أي طرق طريقة حسنة»[6].

وباستقراء تعريفات المفردة عند اللغويّين أمثال ابن منظور في «**لسان العرب**»، وابن فارس في «مقاييسه» والرّاغب في «مفرداته»، يظهر أنّ السُّنّة في اللّغة تحمل معنَيَيْن اثنين، الأوّل، السّيرة التي يتّبعها الإنسان في حياته العمليّة، والمعنى الثّاني، الطريقة التي يتّبعها الله في معاملته للبشر بحسب طريقة سيرهم في الدنيا.

ب. السُّنة اصطلاحًا

جرى المفهوم الاصطلاحي للسُّنّة، مجرى المعنى اللغوي الذي حدّدته المعاجم اللغويّة، وبذلك حملت اصطلاحًا مناسبًا بحسب الفئة أو المكان أو المقصد منها، وقد وردت في عدة مقاصد ومعانٍ:

- **السُّنة في اصطلاح المحدّثين**: ما أُثر عن النبي(ص) من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير.[7]

(1) مجد الدين أبو السعادات المبارك المعروف بـ«ابن الاثير»: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وآخرون، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط 4، 1364هـ.ش، ج 2، ص 409.

(2) محمد بن المفضل المعروف بـ«الراغب الأصفهاني»: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط 1، 1996م، ص 429.

(3) سورة الفتح، الآية 23.

(4) الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مصدر سابق، ص 429.

(5) محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى المعروف بـ«الزبيدي»: **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1994م، ج 18، ص 300.

(6) مجد الدين محمد بن يعقوب المعروف بـ«الفيروز آبادي»: **القاموس المحيط**، دار العلم، بيروت، لا ط، لا ت، ج 4، ص 237.

(7) أبو إسحاق إبراهيم المعروف بـ«الشاطبي»: **الموافقات في أصول الشرّيعة**، دار ابن عفان، ط 1، 1997م، ج 2، ص 3.

فكلّ ما نطق به النبي(ص) من تعاليم دينيّة وأحكام شرعيّة، أو فعله من أفعال عباديّة، كالصّلاة والصّوم والحج وطريقة التعامل مع النّاس، أو أقرّه من أعمال أو أقوال دون إنكار منه – صلّى الله عليه وآله – أو اعتراض يُعدّ سُنّة، وطريق يتّبعه النّاس ويسلكونه في حياتهم.

- **السُّنة في الاصطلاح الفقهي**: الطريقة المُرضيّة المسلوكة في الدين[1]، أي الطّريقة الصّحيحة التي يسلكها كلّ مسلم ومؤمن لممارسة أحكام دينه وشرائعه والتّقرّب إلى الله.

- **السُّنة في الشّرع**: الطّريقة المشروعة في الدين، وهي ضدّ البدعة. وهذا هو المعنى نفسه الذي جرى على لسان اللغويّين وساقوه في مؤلّفاتهم كما مرّ عند الحديث عن المعنى اللغوي للسُّنّة، لذلك «فسُنّة الله أحكامه وأمره ونهيه، وسنّ الله سنة، أي بيّن طريقًا قويمًا، إذ إنّ سنة الله –عزّ وجلّ– قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته»[2].

- **السُّنة في اصطلاح المفسّرين**: إنّها طريقة الله المستمرّة، أو «الطريقة المعمولة التي تجري بطبعها غالبًا أو دائمًا... والطّريقة المسلوكة في المجتمع»[3]، أو المثال المتّبع. واستخدم سيد قطب في تفسيره «**ظلال القرآن**»، مفردة النّواميس في التّعابير عن السُّنن التي تحكم حياة البشر، وفق مشيئة الله الطليقة، وأشار إلى أنّ ما وقع منها في الماضي سوف يقع في الحاضر، إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السّابقين[4].

ثانيًا. أقسام السُّنة الإلهيّة

بناء على تقسيمات السُّنن التي أفردها العلماء أمثال ابن خلدون والغزالي ومحمد عبده وغيرهم، يمكن القول إنّها سنن محيطة بعالم الدنيا والآخرة، إذ يرى ابن خلدون في «مقدمته» مثلًا أنّ للعوامل الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة تأثيرها على تطوّر

(1) علي بن محمد المعروف بـ«الجرجاني»: **التعريفات**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1985م، ص 138.
(2) سعدى أبو حبيب: **القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا**، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2003 م، ص 184.
(3) محمد حسين الطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، 2019م، ج 6، ص 340.
(4) سيد قطب: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1972 م، مج 5، ج 19–25، ص 2949.

المجتمعات وانهيارها، ويدرج ذلك ضمن ما يُسمّى بالسُّنن السّارية داخل المجتمعات[1]، بينما يركّز محمد الغزالي في كتابه «**كيف نتعامل مع القرآن**»، على السُّنن الدينيّة ومدى تأثيرها وتفاعلها مع تصرفات البشر دنيويًّا وأخرويًّا، وكيف تُشكّل القِيَم الدينيّة السّلوك الاجتماعي، وتؤثّر على النّظام الاجتماعي في المجتمعات المختلفة[2]، ملتقيًا في ذلك مع الشيخ محمد عبده في حديثه عن السُّنن الإلهيّة في كتابه الإسلام والنّصرانيّة، إذ إنّ هناك سننًا كونيّة مثل قوانين الطبيعة، وسننًا شرعيّة مثل القوانين الدينيّة والأخلاقيّة تنظم حياة الإنسان[3].

أ. سُنن دنيويّة

هي عبارة عن القوانين والنّواميس التي تتعلّق بالكون وما يجري فيه من أحداث تصيب البشر وهي على قسمَيْن؛ قسم يهتمّ بسلوك الفرد والآخر بسلوك الجماعة، فإذا كانت دراسة سلوك النّاس الاجتماعيّة مركّزة في العالم الدنيوي، وتتوجّه إلى الجماعة، فإنّ المقصود بالسُّنن هي السُّنن الدنيويّة الجماعيّة[4]، ويمكن تعريفها بأنّها قوانين الله في عباده التي جرت العادة بإنزالها على أعمالهم الاختياريّة إمّا جزاءً وأمّا ثوابًا[5]، كسُّنن النّصر والهزيمة، والبلاء والامتحان.

إذًا؛ تعدّ سُنة النّصر من السُّنن التي يجب أن يتدبّر الإنسان شروطها وأسبابها تدبّرًا يستطيع من خلاله الاستفادة في إعادة أمجاد الأمة الإسلاميّة، وكسر القيود التي تسبّبت في تراجع حضارتها، إذ تؤكّد الآيات القرآنيّة وأحاديث المعصومين(ع) أنّ هذه السُّنة الإلهيّة إنّما تتحقّق بحال هيّأ المؤمنون عوامل النّصر الماديّة والمعنويّة التي بيّنتها الشّريعة الإسلاميّة، وحثّت على تحقيقها، ففي قول الله -عزّ وجلّ- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

(1) للمزيد راجع: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009م، ص408.

(2) للمزيد راجع: محمد الغزالي: **كيف نتعامل مع القرآن**، دار الوفاء، مصر، ط2، 1993م، ص49

(3) للمزيد راجع: محمد عبده: **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، دار الحداثة، مصر، ط3، 1988م، ص 72-74.

(4) محمد تقي مصباح اليزدي: **النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ**، تعليق محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الروضة، بيروت، ط 1، 1996م، ص 494.

(5) عبد العظيم صديق: **مفهوم سُنّة الله الاجتماعية في القرآن الكريم**، مجلة **الشريعة والدراسات الإسلامية**، العدد 31، 1417هـ/ 1997م، ص 56.

قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1]، يتوجه الأمر الإلهيّ بإعداد القوة الماديّة والمستطاع منها بحسب الزمان والمكان، ومن ناحية الكمّ والكيف والنوع؛ لمواجهة الأعداء، لتشمل كلّ ما له تأثير إيجابي في تعزيز القدرة الدفاعيّة، كالتّدريب العسكري وتجهيز المعدات والتّحصين. فإنّ للانتصارات والهزائم أثر كبير في تغيير مجرى التّاريخ، وإعادة تشكيل القوى والسّياسات في مراحل زمنيّة مختلفة، وما سقوط الظّالمين وأنظمتهم ونصرة المظلومين والمستضعفين وعزّتهم إلاّ خير دليل على ذلك. هذا الربط يؤكّد أن هناك علاقة مباشرة بين الأسباب والنّتائج. فإنّ اتخاذ الأسباب اللازمة وتطبيق القوانين والمبادىء التي تتعلّق بكيفيّة النّجاح، مثل تجهيز القوّة والاستعداد الجيّد والتّخطيط الدقيق له نتائجه الإيجابيّة قطعًا.

ويحمل هذا المصطلح مسمّى السُّنن الدنيّوية التّاريخيّة؛ أي القوانين التي تتكرّر في تاريخ البشر وتؤثّر في سَير الأحداث الاجتماعيّة والسّياسيّة والثقافيّة، ومنها ظهور القوى الكبرى واختفائها، وتأثير التّطور التّكنولوجي على الحياة الاجتماعيّة، مثل تأثير اختراع الطباعة أو الإنترنت ودورهما في تطوّر الحضارات.

كذلك يندرج تحت السُّنن الدنيويّة ما يُسمّى بالسُّنن الجارية، وهي القوانين التي تشمل نظام الكون كقانون الجاذبيّة، وحركة الكواكب والأفلاك، ويندرج تحتها أيضًا ما هو قدريًّا في الإنسان، وليس مسؤولًا عنه، كالولادة والموت والحياة والشّكل واللون، وقانون الوراثة وانتقال الجينات والصّفات الوراثيّة.

في جانب آخر، تعدّ السُّنن الخارقة نوعًا من أنواع السُّنن الدنيويّة وهي على خلاف السُّنن المعروفة للبشر، وتشمل المعجزات التي تتجاوز القوانين الطبيعيّة، وتُعدّ خارجة عن نطاق التّجربة العلميّة المألوفة، فالله تعالى له القدرة المطلقة على تحويل الظّاهرة المألوفة للبشر إلى ما هو فوق ذلك ومنها حادثة انشقاق القمر إلى نصفَيْن، التي جرت على يدَيْ رسول الله(ص) لإثبات نبوّته، وكذلك معجزة انفلاق البحر لموسى(ع) لإنجاء بني إسرائيل من فرعون الطّاغية، كما عبرّت الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[2]، فهذه الحوادث

(1) سورة الأنفال، الآية 60.
(2) سورة طه، الآية 77.

تجاوزت القوانين العلميّة التّقليديّة وحدود العلم، وأصبحت وسيلة لتمكين الأحداث وتغيير مجرى التّاريخ وفقًا للأوامر الإلهيّة، ووفقًا لقواعد دقيقة تحكم كلّ شيء في الكون.

وأمام هذه السُنن والقوانين التي تحكم التّاريخ، يرِدُ إشكال لدى بعض القائلين بأنّ هناك بعض الحوادث وُجِدت على سبيل الصّدفة، خارج دائرة القوانين، وغيّرت مسيرة التّاريخ، فإنّ غلبة مرض على فرد من أفراد البشر يمكن أن يمنع من شقاء شعوب أو يؤّخره على الأقل، وعندما مات ألكسندر ملك اليونان في خريف 1920م، على أثر عضّة قرد صارت هذه الصّدفة سببًا لعدّة حوادث، وعندما أصيب آخر الخلفاء الأمويّين بحصر البول في المعركة، رآه أحد أعدائه فقتله فاضطرب الجيش، وانقرضت دولة بني أمية[1]. ويمكن الرّد على هذه الإشكاليّة بالقول إنّ للتاريخ مجرًى عامًّا وقوانين ثابتة جارية لا تؤثّر فيها الحوادث الجزئيّة، لكنّها تساهم في تسريع أو إبطاء جريانها، فالدولة الأمويّة حقّقت أسباب سقوطها بحسب القانون السُنني، وكانت تنتظر اللحظة التي تسقط فيها، وتحقّق ذلك باغتيال الخليفة الأموي. وقد نقل الشّهيد «مطهّري» قول المفكّر الفرنسي «مونتسكيو» الذي يُبيّن أنّ سقوط الدول وانهيارها إنّما هو ملازم لنظام العليّة، فإذا سقطت دولة ما صدفة ولسبب ما، فإنّ هناك قطعًا علّة تامّة استوجبت ضعف تلك الدولة فسقطت بذلك السّبب»[2].

ب. سُنن أخرويّة

تتناول السنن الأخروية الثّواب والعقاب الأخروي للإنسان، إذ إنّ الغاية منها التّأمّل في الأقوام التي كفرت وفسقت ومالت عن جادّة الحقّ فأهلكها الله. وهذه السُّنة، وإن استخدمها القرآن لبيان عذاب الأمم مجتمعة، إلاّ أنّنا نستطيع تعميمها، حتّى تشمل جميع النّاس، سواءً كانوا مجتمعين أم أفرادًا؛ لأنّ الأسلوب الإلهي في العطاء في حال كان عامًّا فإنّه يُسمّى سُنّة، وهذا ما يؤكّده الله في قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77)﴾[3]، فالآية تُظهر سُنّة إلهيّة ونتيجة حتميّة متوخّاة لمن كذّبوا

(1) صادق الموسوي: **السنن القرآنيّة في حركة الإنسان التاريخية**، دار الرسول الأكرم، بيروت، ط 1، 1433هـ/ 2012م، ص 38.

(2) مرتضى مطهري: **المجتمع والتاريخ**، دار المرتضى، بيروت، ط 1، 1993م، ص 78.

(3) سورة الإسراء، الآيتان 76 – 77.

أنبياء الله ورسله، وهي سُنّة شاملة ونافذة في جميع الأمم. والأمثلة التّاريخيّة زاخرة بهذه المواقف، كهلاك آل فرعون الذين كذّبوا بما حمله إليهم موسى(ع)، وكذلك عاد الذين كذبوا هودًا(ع)، وثمود الذين كذبوا صالحًا(ع)، وقوم نوح(ع)، وقوم لوط(ع) وغيرهم من الأقوام. وهي سنّة أشار إليها الله في الكثير من آياته، منها الآيات: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُوالأَوْتَادِ وَثَمُودُ (12) وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ (13) إِنْ كُلٌّ إِلاَ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14)﴾[1].

وبخلاصة ما تقدّم من تقسيمات متعدّدة، فإنّها تُجمع وتتّفق على أنّ مدلول السُّنن الإلهيّة يُشير إلى قوانين الله تعالى العادلة في التّعامل مع الكون والحياة والخلق والبشر التي لا تتبدّل ولا تتغيّر. وكلّ ساحة من ساحات الموجودات في الكون محكومة بالسّنن الإلهيّة. وبعبارة أخرى، فإنّ جميع ما في هذا الكون من موجودات، بشرًا كانت أم أفلاكًا أم بحارًا، تخضع كلّها لنظم الله وقوانينه، عزّ وجلّ.

ثالثًا. أهميّة السُّنن في استشراف المستقبل

خلق الله تعالى الكون وعناصره وِفاق سُنن تضبط حركته، وتنظّم حركات الكائنات وعلاقتها ببعضها. وكرّم الإنسان أحسن تكريم، فسخّر له كلّ موجودات الكون، وهذا ما فصّله تعالى في الآية ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2]، فقد أكّد الله تعالى أنّه لم يخلق الإنسان سُدًى بدون غاية وهدف، بل حدّد وظيفته في الحياة، تلك التي تنطلق من الوصف الأوّل الذي تبعه به، وهو عنوان خليفة الله في أرضه، الأمر الذي يلزمه إعمار الأرض، واستثمارها وإخراج ثرواتها وإقامة حكم الله، ليعمّ العدل وينتشر الأمن والاستقرار.

انطلاقًا من هذه الأهميّة، فقد شغلت السُّنن الإلهيّة حيّزًا واضحًا من مفردات هذا الدِّين، وبالتّالي فإنّ فهمها يشكّل دعامة أساسيّة من دعائم الفهم الشّامل للإسلام.

كذلك بيّن الله للإنسان، من خلال آياته القرآنيّة الشّريفة، السُّنن والقوانين الثّابتة، التي تشكّل قاعدة المسير للبشريّة، فربطها بالخِلقة ثمّ رسم المسير القويم، وقد أتبعها بالقدرة الإلهيّة التي تفترض القوّة بما تُنبئ بحتميّة السُّنن والقواعد، كما جاء في الآية:

(1) سورة ص، الآيات 12 – 14.
(2) سورة الإسراء، الآية 70.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، فكأنّ القرآن الكريم، بحسب رأي الشّيخ محمد جواد البلاغي، يوبّخ الذين أصابتهم الغفلة، فيقول: «أين هم وأين أبصارهم وبصائرهم عمّا يراه كل ذي عين، ويحسّ به كل ذي حسّ،... قل سيروا في الأرض، واخرجوا من بيوتكم وظلمات جهلكم (فانظروا كيف بدأ الله الخلق) كيف يوجد النّبات والحيوان والأنسان بعد أن لم يكن»[2]، وفي ذلك دعوة إلى التّفكر في آثار من كان فيها قبلهم، وإلى أي شئ صار أمرهم ليعتبروا به.

وفي موضع آخر، ربط الله تعالى سُنّة الكذب في الدنيا بعاقبة السوء، وهي لازمة على كل صعيد، وفي كل زمان ومكان، فيقول تعالى في الآية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3]. وأورد علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره لهذه الآية قوله: أي انظروا في القرآن وأخبار الأنبياء، فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين[4]. كيف كانت عواقب من كذّبوا برسالات الله وأنبيائه ورسله، وما حلّ بهم من دمار وهزيمة واستئصال. لذلك كانت الدعوة «فانظروا بأبصاركم وتفكّروا بقلوبكم، كيف كان عاقبة المكذّبين المستهزئين. وإنّما أمَرهم بذلك، لأنّ ديار المكذّبين من الأمم السّالفة، كانت باقية، وأخبارهم في الخسف والهلاك، كانت شائعة، فإذا سار هؤلاء في الأرض، وسمعوا أخبارهم، وعاينوا آثارهم، دعاهم ذلك إلى الإيمان، وزجرهم عن الكفر والطغيان»[5]، فيعتبروا بما شاهدوا من آثار هلاكهم.

وهذا حال مؤمن آل فرعون، الذي استدلّ بالسُّنن الحاصلة في الأمم السّابقة، لينبّه قومه إلى ما أصابهم من عذاب؛ بسبب كفرهم وعنادهم، وهو ما أوضحته الآيتان: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ(31)﴾[6]، فقد فَهِم سُنَّة الله وسخّرها في رسالته الإلهيّة. وهذا ما تُبيّنه جملة «مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود»، أي مثل عاداتهم في الكفر والشّرك.

---

(1) سورة العنكبوت، الآية 20.
(2) محمد جواد البلاغي: **الرحلة المدرسية**، دار الزهراء، بيروت، لا ط، لا ت، ج 3، ص 408.
(3) سورة الأنعام، الآية 11.
(4) علي بن إبراهيم القمي: **تفسير القمّي**، دار الكتاب، إيران، ط 3، 1404هـ، ج 1، ص 194.
(5) محمد بن الحسن المعروف بـ«الطبرسي»: **مجمع البيان**، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1986م، ج 4، ص 15.
(6) سورة غافر، الآيتان 30 - 31.

وكذلك فعل نبي الله صالح(ع) مع قومه المعروفين بقوم ثمود(ع)، لمّا دبّروا المكيدة للتخلّص منه بالقتل، أنزل الله سُنّته الكونيّة بتعجيل العقوبة وإهلاكهم لجرأتهم على نبيّهم، بعدما نبّههم إلى خطورة أفعالهم ونتائجها اللاحقة، وهذا ما أوضحته الآيات ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (53)﴾[1]، إذ تشير إلى أن سبب تدمير قوم صالح(ع) كان نتيجة ظلمهم وتكذيبهم نبيّهم، ورفضهم الحق، وجعلهم عِبرة لأولئك الذين يتفكّرون ويتعلّمون من دروس التّاريخ.

وفي آية آخرى، حثّ الله تعالى الإنسان على النظر في السُّنن الحتميّة، بما ورد في الآية ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، وما تحمل من دعوة البشر للاستنان بسُنّة الله في موضوع الكذب وعاقبته كنموذج من نماذج عدة تُظهر أهمّية السنن والاعتبار بها، وهذا ما يدعو إلى الاستنان بسُنن الله في الأرض، التي لا تتخلّف أبدًا، وإلى القوانين الجاريّة التي يخضعون لها باعتبارهم أفرادًا وأممًا وجماعات. وهذه القوانين والسُّنن عامّة للجميع؛ للمؤمن والكافر، المطيع والعاصي، المسلم وغير المسلم، الذكر والأنثى، ولكلّ بالغ وعاقل.

ومن الفوائد المهمّة في دراسة السُّنن الإلهيّة، أنّها تبعث الطّمأنينة والراحة في نفوس أتباع الدِّين الإلهي، بخاصّة أنّنا نتحدّث عنها من منظار القرآن الكريم، ولا سيّما أن تاريخ البشريّة يثبت لنا ما مرّ من أحداث ومجريات تجعل الإنسان قادرًا على أن يتّعظ من هذه الأحداث لكونها تصلح أن تكون تجارب صالحة تفيده في رسم مستقبله واستشرافه له، وتحميه من الوقوع فيما وقع فيه غيره من البشر في سالف الأيام، وقد ثبّت الإمام علي(ع) قواعد السنن في الحياة البشريّة، إذ إنّ «الدنيا ماضية بكم على سُنن»[3]، فلا تستثني هذه السُّنن من النّاس أحدًا، لذا كانت معرفة الإنسان بهذه السُّنن الجارية في الخلق والوعي بخصائصها والاسترشاد بها، لها بالغ الأثر والأهميّة في سلامة سيره الكمالي.

(1) سورة النمل، الآيات 51 – 53.
(2) سورة آل عمران، الآية 137.
(3) الإمام علي بن أبي طالب: **نهج البلاغة**، شرح ابن أبي الحديد، منشورات مكتبة مرعشي، قم، ط 2، 1404هـ.ق، ج 13، ص 110.

وتشهد النّصوص الروائيّة عن المعصومين(ع) أنّ السّيدة زينب(ع) تكلّمت بلسان العالِمة بالسُّنن الإلهيّة في مخاطبتها يزيد عندما طغى: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورًا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلًا مهلًا، أنسيت قول الله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

إنّ استيعاب الظّلامة التي وقعت على أهل البيت(ع) وشيعتهم، يتوقف على فهم عدد من القوانين والسُّنن الإلهيّة التي بيّنها الله في كتابه، وبيّنها النبي(ص) للأمّة في أحاديثه، وحذّر منها، ولا سيّما في الحديث عن سُنّة الاستدراج والإملاء، مع ما يمكن ربطها بفعل الظّلم والعتوّ.

إنّ من أبرز مصاديق الاستدراج القرآني مثالًا، تظهر جليّة لدى أفراد من بني إسرائيل وأهل مصر الأقباط، عندما أجزل الله تعالى عليهم من عطاياه، فسخّروها لشهواتهم ومتاعهم الدنيويّ، فقادتهم إلى الانحراف والطّغيان؛ وهم المعروفون في القرآن الكريم بقارون وهامان وفرعون، وقد بيّن القرآن الكريم وصفهم، وأوضح فعل الاستكبار المتجذّر فيهم، بما صرّحت الآية الكريمة ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾[2]، وأشارت إلى كيفيّة تعاملهم مع الحق بعلوّ واستكبار، وعدم اعترافهم بالحقائق رغم وضوحها. فكان مآلهم الهلاك، إذ أكّدت الآيتان موضع محبّة الله تعالى، وموضع بغضه، في سياق الإشارة إلى القوّة والفساد، فجاء في الآيتَيْن ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(77)﴾[3].

---

(1) محمد باقر المجلسي: **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط 2، 1983م، ج 45، ص123.

(2) سورة العنكبوت، الآية 39.

(3) سورة القصص، الآيتان 76 – 77.

وهنا أرادت الحكمة الإلهيّة أن يكفّ عن استكباره وتطاوله، بل شاءت أن تنهي حياته بالطريقة التي تتجلّى فيها القدرة الإلهيّة، وتجعله عبرة لكل من أراد سلوك منهجه، بعد رفضه الالتفات إلى نصائح قومه الخمس التي جمعت ما في المنهج الإلهي القويم من قِيَم، حاضره ومستقبله؛ وهذا ما أوضحته الآية في تثبيت قواعد العواقب، إذ قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾[1]. فإنّ التمادي بفعل الاستكبار والاستمرار في الطغيان يُعدّ نوعًا من أنواع الاستدراج الإلهي، حيث يُمنح الظّالمون الفرصة للتّوبة، ثم تأتي العقوبة ليكون عبرة لمن يعتبر بعاقبة الظلم.

وتتبيّن أهميّة السُّنن الإلهيّة في استشراف المستقبل، من خلال عناية العلماء بهذا العلم، وحثّهم عليه، فالشّيخ محمد رشيد رضا يدعو في تفسيره المعروف بـ«تفسير المنار»، إلى تكاثف الجهود بين علماء المسلمين لدراسة هذه السُّنن وإخراجها في علم خاصّ له أبوابه وفروعه، إذ إن «إرشاد الله إيّانا إلى أنّ له في خلقه سُننًا، يوجب علينا أن نجعل هذه السُّنن علمًا من العلوم لنستلهم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمّة في مجموعها أن يكون فيها قوم يدينون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بيّنها العلماء بالتّفصيل عملًا بإرشاده كالتّوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله -عزّ وجلّ- من أهمّ العلوم وأنفعها، والقرآن يُحيل عليه في مواضيع كثيرة، وقد دلّنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل معرفة حقيقتها»[2].

لقد أوجب الله على الإنسان أن يتعرّف على السُّنن الثّابتة في الكون، بحسب طاقاته وبحسب حاجاته للقيام بمَهمّة الخلافة في هذه الأرض، من خلال اعتلاء منصب خليفته في الأرض، وما له من أبعاد سلوكيّة وقِيَميّة في ما تقوله الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]، ثم أتبعها بتبيان المسار السلوكي في حمل أمانة الاستقامة الطوعيّة، فجاء في الآية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا

(1) سورة القصص، الآية 81.

(2) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، المعروف بـ«تفسير المنار»، دار المعرفة، بيروت، ط 2، لا ت، ج 4، ص 23.

(3) سورة البقرة، الآية 30.

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1]، وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السُّنن الكونيّة، وعلى تسخير قوى الكون، وِفاق هذه السُّنن لبنيان الأرض، واستثمارها والانتفاع بأقواتها وطاقاتها، وأرشده إلى الاستثمار الذي يؤدّي إلى العمران وإطالة عمر الحياة في الأرض، فيقول تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2].

وفي جانب موازٍ، لا يمكن إغفال ما للسُّنن الإلهيّة من آثار إيجابيّة على الفرد والمجتمع، وهذا ما بيّنته الآيات القرآنيّة، إذ أشارت إلى الطّمأنينة والرّضا التي يشعر بها المؤمن نتيجة ثبات السُّنن وشمولها واطّرادها. فيبقى المسلم ينظر لوعد الله تعالى حالما يأخذ بالأسباب ويَعتَبِر بالسُّنن، فيجد حياة هانئة دون جزاءات عقابيّة، بل يلقى مكرمات فيضيّة. إنّ النّظرة القرآنيّة أكّدت على أنّ نظام المجتمع البشري نظام لا يتبدّل ولا يتغيّر، وأنّ أيام المجتمعات البشريّة متداولة على قاعدة ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[3]، وهذه المداولة بتصريح القرآن لا تكون لفئة خاصّة دون غيرها، إنما هي لكافّة النّاس، تحمل إرشادًا وتبيانًا من الله بأنّ هذه الدنيا زائلة وفانية، وعلى من يسكن الأرض الاتّعاظ والاعتبار، وفي ذلك قال القرطبي: «نداولها بين النّاس من فرحٍ وغمٍّ وسقمٍ وغنًى وفقر»[4]، وهذه المداولة تشمل المؤمنين وغيرهم، فلكلّ منهم جولات وصولات.

إذًا؛ فالعلاقة وطيدة بين دراسة السُّنن الإلهيّة وعمليّة استشراف المستقبل، بما تؤكّده الآيات ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا(42) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا(43) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا(44)﴾[5]، فيقول السّيد الطّباطبائي في تفسير هذه الآيات إنّ الله تعالى يهدّد المستكبرين الذين يقسمون على الاهتداء، ثمّ

(1) سورة الأحزاب، الآية 72.
(2) سورة هود، الآية 61.
(3) سورة آل عمران، الآية 140.
(4) محمد أحمد النصارى المعروف بـ«القرطبي»: **تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000 م، ج 4، ص 218.
(5) سورة البقرة، الآيات 42 – 44.

يمكرون بمن يأتيهم من منذرين مبعثين من قبله، فيهدّدهم بما تقتضية الطّريقة والسُّنة الإلهيّة في التّعامل مع الأوّلين، ويدعوهم في ذيل الآيات إلى النّظر والسّير والاعتبار بما جرى عليهم، وبالقوانين التي طُبّقت عليهم[1]. وبالتّالي امتلاك الأدوات المساعدة على استشراف المستقبل من خلالها. بيد أنّ النّصوص القرآنيّة المنبثقة من علم الله، والمحيطة بتاريخ الأمم والمجتمعات وأحوالها، لم تُسرف في تنبؤاتها التّاريخيّة، بل أعطت نماذج لمعطيات تاريخيّة، وتحدّثت عن الماضي لحكمة ضروريّة، ودعت للاستفادة من المبادىء الأساسيّة في حركة التّاريخ البشري تحت مسمّى السُّنن، موكّدًا على أنّها «ثابتة ماضية إزاء الجماعات البشريّة التي تنتكب عن الطّريق، بغضّ النّظر عن حجم هذه الجماعة، وعن مدى دورها الحضاري، ومقدار منجزاتها وعمرانها وعن إمكاناتها وثرواتها وموقعها. ذلك كلّه في مقابل كبار الوضعيّين الذين مارسوا في تفسيرهم للتّاريخ إسرافًا خياليًّا ومدّوا أبصارهم صوب المستقبل المجهول؛ يرسمون على صفحاته تنبؤاتهم المتعاقبة»[2].

وهنا لا بدّ من عدم الغفلة عن بيان الاستشراف القرآني المستقبلي لزوال الصّهيونيّة؛ إذ إنّ حتميّة النّصر على اليهود واستئصالهم من جذورهم واقع بإذن الله -عزّ وجلّ-، وهو أمرٌ واضحٌ في النّصوص الدينيّة، وقد أخبر القرآن الكريم في قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا(4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا(6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا(8)﴾[3]. حيث تطرّقت هذه الآيات إلى فساد اليهود في ماضيهم وحاضرهم، وبشّرت بزوالهم مستقبلًا، وهو وَعْدٌ مَفْعُول لا خُلف فيه. لا سيّما أنّ العلوّ اليّهودي ظهر جليًّا من خلال الإمداد بالمال والبنين، وكثرة النّفير، التي أشارت إليها الآية ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، حيث بلغ اليهود قمّة العلوّ والإفساد، وهذا ما ينطبق على عصرنا الراهن.

(1) محمد حسين الطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج 9، ص 75.
(2) عماد الدين خليل: **التفسير الإسلامي للتاريخ**، المكتبة الوطنية، بغداد، ط 4، 1986م، ص 106.
(3) سورة الإسراء، الآيات 4 - 8.

وبهذا يكون القرآن قد قاوم النّظريّة العفويّة أو النّظريّة الغيبيّة الاستسلاميّة لتفسير الأحداث، ونبّه العقل البشري إلى أنّ هذه السّاحة لها سننها وقوانينها، وأنّ أحداث التّاريخ تُعيد نفسها ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[1]، قال الإمام المراغيّ في تفسيره لهذه الآية: «أي إنّ مداولة الأيّام سُنّة من سنن الله في المجتمع البشري، فمرّة تكون الدولة للمبطل، وأخرى للمحقّ، ولكن العاقبة دائمًا لمن اتّبع الحق، وإنّما تكون الدولة لمن عرف أسباب النّجاح ورعاها حق رعايتها كالاتّفاق، وعدم التّنازع، والثّبات، وصحّة النّظر، وقوة العزيمة، وأخذ الأهبة، وإعداد ما يُستطاع من القوة، فعليكم أن تقوموا بهذه الأعمال وتُحكِموها أتمّ الإحكام حتّى تظفروا وتفوزوا، ولا يكن ما أصابكم من الفشل مُضعِفًا لعزائمكم، فإنّ الدنيا دول»[2]. وهذا ما تفيده أيضًا صيغة المضارعة في قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ الدالّة على التّجدد والاستمرار والحركة.

وقد أكّدت الآيات القرآنيّة أنّ السُّنن التّاريخيّة لا تجري إلّا بإرادة الإنسان، فإنّ أيّ تغيّر يمكن أن يحصل هو منوط بإرادته واختياره، وهذا يؤكّد أكثر فأكثر مسؤوليّته على السّاحة التّاريخيّة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قول الله تعالى: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»[3]، ويُبيّن الشّهيد مطهّري أنّ القرآن يشير إلى مسألة تربويّة مهمّة في حقل القوانين التي تحكم التّاريخ، حين يؤكّد أنّ البشريّة هي التي ترسم مصيرها بيدها، وهذا يعني «أنّ النّظريّة القرآنيّة تذهب إلى أنّ قوانين المسيرة البشريّة، ما هي إلاّ سلسلة من ردود الفعل لَمَا تفعله الأقوام والجماعات، من هنا نفهم أنّ النظريّة القرآنيّة تؤكّد على وجود قوانين ونواميس كونيّة ثابتة لمسيرة التّاريخ، كما تؤكّد في الوقت ذاته على دور الإنسان وحريّته واختياره»[4]. وبعبارة أخرى يمكن القول إنّ السُّنن التّاريخيّة تجري بما كسبت أيدي النّاس، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[5].

(1) سورة آل عمران، الآية 140.
(2) أحمد مصطفى المراغي: **تفسير المراغي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ط، 1991م، ج 4، ص 79.
(3) سورة الإنسان، الآية 3.
(4) مرتضى مطهري: **نهضة المهدوية في ضوء فلسفة التاريخ**، دار التيار الجديد، بيروت، ط 2، 2006، ص 9.
(5) سورة الروم، الآية 41.

بعض الاستنتاجات

إنّ أهميّة معرفة السُّنن وأنواعها تظهر في كونها منارة وهادية لتسخير الكون بكلّ ما فيه من أجل فَهْم أشمل وأكمل للحياة، فالسُّنن الإلهيّة بما تتّصف من خصائص تمثّل منارة لا غنًى عنها في استشراف المستقبل.

وهكذا يمكن القول، إنّ تتبّع فاعليّة السُّنن ونفاذها في الأفراد والجماعات والكون، تستولد الفطنة لأصحاب العقول لتجنّب تكرار أخطائها، والجنوح عن مسالكهم. فلا بدّ من ربط كل ما يَستجدّ من أحداث بالسُّنن السّابقة والثّابتة على مدى الزمان، وربطها مع بعضها البعض، والنّظر إليها على أنّها نظام متكامل، وكلّ جزء منه يؤثّر في الآخر ويعمل بشكل متكامل لتحقيق هدف معيّن.

كذلك فإنّ عملية استشراف المستقبل من خلال السّنن الإلهيّة ليست عملية بسيطة وسهلة، لأنّها تتطلب فهمًا عميقًا للسّنن والأنظمة التي تحكم الكون والمجتمعات. فالفهم العميق لهذه السُّنن يعزّز قدرتنا على التّنبؤ بالمتغيّرات المحتملة والاستعداد لها بطرق فعّالة، وهذا ما يساعد في تعزيز التّفاؤل والأمل بشأن المستقبل.

وبناء عليه، فقد باتت القراءة السُّننيّة والوعي بها مطلبًا ضروريًّا، لا سيّما فيما يتعلّق بأشكال السُّنن الاجتماعيّة التي طرحها القرآن الكريم بأساليب وصيغ وتعابير متعدّدة، من سُنن أهل الحقّ، التي منها: سُنّة الصّبر والتّقوى، وسُنّة التسديد الإلهي، وسُنّة الاستبدال، وسُنن أهل الباطل كسُنّة تكذيب الأنبياء، وسُنة المكر، وسُنة الاستدراج، وسُنة الإهلاك والاستئصال، فإنّ القراءة الواعية تُسهم في فهم التّطوّرات والأحداث والتغيّرات داخل المجتمعات وإدراك القوانين والأنظمة ومدى تأثيرها وكيفيّة عملها؛ لتحقيق نتائج إيجابيّة أفضل في المستقبل.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر باللغة العربيّة

1. **القرآن الكريم.**
2. ابن الأثير، مجد الدين: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وآخرون، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط 4، 1364هـ.ش.
3. الإمام علي بن أبي طالب(ع): **نهج البلاغة**، شرح ابن أبي الحديد، منشورات مكتبة مرعشي، قم، ط 2، 1404هـ.ق.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: **مقدمة ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2009م.

ب. المراجع باللغة العربيّة

1. أبو حبيب، سعدى: **القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا**، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2003م.
2. الأصفهاني، الراغب: محمد بن المفضل: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط 1، 1996م.
3. البلاغي، محمد جواد: **الرحلة المدرسية**، دار الزهراء، بيروت، لا ط، لا ت.
4. الجرجاني، علي بن محمد بن علي: **التعريفات**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1985م.
5. خليل، عماد الدين: **التفسير الإسلامي للتاريخ**، المكتبة الوطنية، بغداد، ط 4، 1986م.
6. رضا، محمد رشيد: **تفسير القرآن الحكيم**، المشهور بـ«**تفسير المنار**»، دار المعرفة، بيروت، ط 2، لا ت.
7. الشاطبي، أبو اسحاق إبراهيم: **الموافقات في أصول الشّريعة**، دار ابن عفان، ط 1، 1997م.

8. الطباطبائي، محمد حسين: **الميزان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث، بيروت، ط 2، 2019م.

9. الطبرسي، الفضل بن الحسن: **مجمع البيان**، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1986م.

10. عبده، محمد: **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، دار الحداثة، مصر، ط3، 1988م.

11. الغزالي، محمد: **كيف نتعامل مع القرآن**، دار الوفاء، مصر، ط 2، 1993 م.

12. القرطبي، محمد أحمد النصارى: **تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000 م.

13. المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط 2، 1983م.

14. قطب، سيّد: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1972م.

15. المراغي، أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ط، 1991م.

16. مطهري، مرتضى:

1) **نهضة المهدوية في ضوء فلسفة التاريخ**، دار التيار الجديد، بيروت، ط 2، 2006م.

2) **المجتمع والتاريخ**، دار المرتضى، بيروت، ط 1، 1993م.

17. الموسوي، صادق: **السنن القرآنيّة في حركة الإنسان التاريخية**، دار الرسول الأكرم، بيروت، ط 1، 1433هـ/ 2012م.

18. اليزدي، محمد تقي مصباح: **النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ**، تعليق محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الروضة، بيروت، ط 1، 1996م.

ج. الدوريات

1. صديق، عبد العظيم: **مفهوم سنة الله الاجتماعية في القرآن الكريم**، مجلة **الشريعة والدراسات الإسلامية**، العدد 13، 1417هـ/ 1997 م.

EUROPUB Publishing Company LTD, UK

CheckInCertificate

CERTIFICATE
OF ACHIEVEMENT

THIS CERTIFICATE IS PROUDLY PRESENTED TO

Sada Al - Oulum

(ISSN: 2959-9423)

has been successfully indexed in **EuroPub Database** in year **2024**, a prestigious repository of scientific literature and research. **"Sada Al - Oulum"** has met the rigorous standards and criteria set forth by EuroPub Database for inclusion in EuroPub database, demonstrating excellence in scholarly content, editorial quality, and relevance to the scientific community.

This indexing acknowledgment is a testament to the dedication and commitment of the editorial board, authors, and contributors of **"Sada Al - Oulum"** to advancing knowledge and innovation in ***Arts, humanities and social sciences***.

This certificate is issued under the cover of EuroPub Publishing Company, Ltd., UK.

Euro Code: 1655739804 **Issue on:** 2024-09-14 **Validity:** 1 Year

Please check it as online with Euro Code: https://cms.europub.co.uk/qr_check

VALID

SIGNATURE

Database: http://europub.co.uk/

موقع المجلة الإلكتروني: www.sadaloulum.com
البريد الإلكتروني: sadaloulum@gmail.com
الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف الدوريات الإلكترونية: ISSN 2959-9431